وَصْفُ الصَّبْرِ بِالْجَمِيلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
(دِرَاسَةٌ وَنَمَاذِج)

دكتور/ علي محمد إبراهيم شهاب

أستاذ الكتاب والسنة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب ببلقرن- جامعة بيشة

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة موضوع: "**وصف الصبر بالجميل في القرآن الكريم**" بالإضافة إلى عرض نماذج منه، وقد احتوى البحث في التمهيد على بيان المراد من الوصف بالجميل في القرآن الكريم، ثم أتت عناصر البحث تباعاً، فأوضحت معنى الصبر والمراد منه مع بيان أهميته وفضله، ثم تتبعتُ كلام المفسرين في آيات الصبر الموصوفة بالجميل في القرآن الكريم مع استنباط ما فيها من دلائل وحكم، وقد استعرضت جملة من الأمثلة والنماذج التي تؤكد تأصل خصلة الصبر في سلوك الأنبياء والمرسلين، وأن صبرهم -عليهم الصلاة والسلام- موصوف بالجميل، ثم استعرضت الآثار الإيجابية للصبر في مجال العلاقات الإنسانية، ثمَّ قيَّدتُ أهمَّ النتائج والتوصيات.

والله وليُّ التوفيق،،،

The Abstract:

The current research entitled as "Describing Patience as Beautiful in the Holy Koran: A study and Models" aims to study giving 'the characteristic of beauty' to 'patience' in the expressions of the Holy Koran, in addition to presenting models of these expressions. The research starts with the preface which contains a statement of what is described as 'beautiful' in the Holy Koran. Then the elements of the research came in succession, starting from an explanation of the meaning of patience, its intended meaning, and its importance. Then I discussed the scholars' interpretation of the ayahs in which 'patience' is described as 'beautiful', trying to extract useful denotations out of these interpretations. The researcher has also presented a number of examples and models which confirm the inherent character of patience in the behavior of the prophets and messengers and assure that the patience of these prophets and messengers –peace be upon them– is described as beautiful. After that, the researcher outlines the positive effects of patience in the field of human relationships. Finally, the most important findings and recommendations are mentioned.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي الجلال والكمال والجمال، نحمده سبحانه على جزيل عطائه، ونشكره على إفضاله ونعمائه؛ فسبحانه من رب عظيم، وإله مجيد كريم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا **شريك له** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[سورة الحديد، آية: ٣]** وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ علم من جمال الله تعالى وكماله ما جعله يبلغ دعوته،ويحتمل الأذى في سبيله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعدُ:

لقد تعددت وجوه الجمال في القرآن الكريم، فهو جميل في لفظه، وجميل في نظمه، وجميل في بيانه وبلاغته، وجميل فيما يحويه من أحكام وأخبار وتشريعات، وهذا الجمال والجلال والبهاء يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، فله إيقاع جميل يضفي على روح الإنسان وحسه مشاعر يعجز عن وصفها أو التعبير عنها بكلماته، قال تعالى في أصدق وصف لتلك المشاعر ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴿٢٣﴾﴾**[سورة الزمر، آية: ٢٢]**.

لقد تناول القرآن الكريم في آياته جمال الكون الفسيح بما فيه من نجوم وأفلاك تسير بشكل محكم ودقيق: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾**[سورة يس، آية: ٣٩]**، وعرجت الآيات القرآنية إلى بيان حركة السحب والرياح للإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾**[سورة النور، آية: ٤٣]**، ليقف الإنسان على جمال الخالق وبديع صنعه ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾**[سورة النمل، آية:٨٨]**.

لقد بيَّن القرآن الكريم الجانب المعنوي للجمال فتناول القيم الإنسانية، فهذب الأخلاق، وصحح المعتقد، وجدَّ من عزم الناس، ووحد صفهم، فانتشرت الفضيلة، واتسعت الدولة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وهذا الموضوع يبحث في جانب من جوانب هذا الوصف المعنوي كما سيأتي معنا.

لقد جاءت كلمة الجمال في القرآن الكريم بصيغة المصدر "جمال" مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ

أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[سورة النحل، آية: ٥-٧]؛ وذلك حتى يستشعر الإنسان معنى الجمال في قيمته المادية المحسوسة، فيعرف للنعمة قدرها.

بينما تكرر وصف الجمال في القرآن بصيغة الصفة "جميل" لأربع كلمات هي: (الصبر، والصفح، والتسريح، والهجر) وذلك في سبعة مواضع من القرآن الكريم، فشدني معنى الجمال بهذا الوصف المعنوي للمصطلحات الأربعة، فرأيت أن أكتب في هذا البحث الموسوم بـــ(وصف الصبر بالجميل في القرآن الكريم) دراسة موضوعية في القرآن الكريم؛ لتكون نبراساً يُهتدى به في شتى مجالات الحياة المتنوعة، وذلك من خلال دراسة تُعنى بإبراز الجانب الجمالي لخصلة الصبر في القرآن الكريم، بالإضافة إلى الوقوف على أقوال المفسرين في الآيات الثلاثة التي تكرر فيها وصف الصبر بالجميل، وبيان ما إذا كان لذلك الوصف من سبب أو رابط يجمع بينها، لا سيما أن الصبر الذي ورد في القرآن الكريم وهديه عامة كله جميل، ومن هنا جاءت أهمية البحث، وقد أفردت الصبر الجميل بدراسة مستقلة عن غيره من المصطلحات التي وصفها القرآن، وذلك لأن الصبر أعظمها وأجلها.

- **أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة إلى إيضاح الأمور الآتية:

١- تتبع أقوال المفسرين في آيات الصبر الجميل، وما يندرج تحتها من آيات الذكر الحكيم.

٢- بيان حقيقة ما تضمنته نصوص القرآن من قيم جمالية عند وصفها للصبر بالجميل.

٣- بيان ثمرة الصبر الجميلة التي تحققت للصابرين وعلى رأسهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٤- إظهار عناية الوحي بتهذيب النفس البشرية بهذا الخلق العظيم حتى ترتقي إلى مواطن الحسن والجمال المعنوي.

- **الدراسات السابقة:**

من خلال بحثي في كشاف الرسائل الجامعية، وغيرها من المواقع الالكترونية والمكتبات، فإني لم أقف على دراسة محكَّمة تبحث في موضوع: (وصف الصبر بالجميل في القرآن الكريم)، وجلّ ما وجدته كتب ورسائل تشرح المفهوم العام لمعنى الجمال في الفكر الإسلامي أو القراءة الجمالية للقرآن الكريم

بالإضافة إلى موضوعات نظرية مستقلة في الصبر بشكل عام؛ فتذكر أنواع الصبر، وحكمته، ومنزلته، ومجالاته في القرآن الكريم، أما بحثي هذا فقد ركز على إبراز الجانب الجمالي لخلق الصبر في القرآن الكريم، مع بيان المراد من وصف الصبر بالجميل؛ الذي تكرر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منه، واستعراض أبرز أقوال علماء التفسير في معناه، وتلمس الحكم من هذا الوصف قدر المستطاع، وبالله التوفيق.

- **المنهج المتبع في البحث:** استلزم موضوع البحث اتباع المنهج التالي:

- **المنهج الاستقرائي:** القائم على جمع النصوص.

-**المنهج الوصفي التحليلي:** القائم على تحليل النصوص،والكشف عن دلالاتها وآثارها.

- **حدود البحث:**

سيكون حدُّ البحث مقتصراً على بيان المراد من وصف الصبر بالجميل في القرآن الكريم، وأقوال المفسرين فيه، مع عرض نماذج من الصبر الجميل في القرآن الكريم، وسيتبع البحث بعض الموضوعات الفرعية، كتعريف الصبر وبيان أهميته، واستخلاص أثره الجميل في مجال العلاقات الاجتماعية العامة بين الناس.

وقد رتبت هذا البحث على النحو الآتي:

- **المقدمة:** عرّفت فيها بالموضوع وأهميته، وأسباب عنايتي به.
- **التمهيد:** وفيه بيان المراد من وصف الصبر بالجميل.
- **المبحث الأول: الصبر الجميل في القرآن الكريم.**
  - تعريف معنى الصبر في اللغة والاصطلاح.
  - أقوال المفسرين في آيات الصبر الجميل.
  - الحكمة من وصف الصبر بالجميل.
- **المبحث الثاني: نماذج من القرآن الكريم على الصبر الجميل.**
  - أمثلة على الصبر الجميل في أداء الفرائض والواجبات.
  - شخصيات أشاد بصبرها القرآن الكريم.
  - الآثار الإيجابية للصبر في مجال العلاقات الإنسانية.
- **الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات.**
- **ثبت المصادر والمراجع.**

هذا؛ وأسأل الله العليّ القدير أن يجعله عملاً صالحاً نافعاً متقبَّلاً خالصاً لوجهه الكريم، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، والحمد لله رب العالمين.

تـــمهيـــد

في بيان المراد من وصف الصبر بالجميل

يلحظ المتتبع لمادة (وَصَفَ) في معاجم اللغة أن لها دلالات متعددة؛ معظمها يدور في فلك الجمال والتزيين، تقول: "وصَفَ الشيءَ له وعليه وصْفاً وصفةً حَلاَّه، والهاء عوض من الواو..."[1]، وقال اللّيث: "الوَصْفُ: وَصْفُكَ الشيءَ بحِلْيَتِه ونَعْتِه فاتَّصَفَ أي: صارَ مَوْصُوفاً، أو صارَ مُتواصِفاً، وله أوصاف وصفات حسنة، وتواصفوا بالكرم وهو شيء موصوف ومتواصف ومتصف، قال طرفة: (إنِّي كَفانِيَ مِنْ أَمْرٍ هَمَمْتُ بِه ... جارٌ كجارِ الحُذاقِيِّ الذّي اتَّصَفَا)[2] أَي:صارَ مَوْصُوفاً بحُسْنِ الجِوارِ، وجاء الوصف كذلك بمعنى الكشف والإظهار والإبانة، وقد استدل ابن منظور على هذا المعنى بحديث لعمر–رضي الله عنه– أنه قال: (إِنْ لَا يَشِفّ فَإِنَّهُ يَصِفُ)[3]: أي يصفها؛ يريد الثَّوْبَ الرَّقيق إن لم يبن منه الجسد فإنه لرقَّته يصف البدن، فيظهر منه حجم الأعضاء، فشبه ذلك بالصفة.[4]

وأما المعنى اللغوي لاسم (الجَميل) فيعود إلى الجَمَال، وهو الْحُسْنُ فِي الْفِعْلِ والخَلْق، جَمُلَ يَجمُلُ فهو جَميل، وتَجمَّلَ تَزيَّن، وجَمَّلَهُ تَجميلاً زَيَّنَهُ، وأَجمَلَ الصَنيعَةَ عند فُلان يعني: أَحسَنَ إِلَيه، والمُجَامَلَةُ هي المُعَامَلَةُ بِالجَمِيلِ، والتَّجَمُّلُ تَكَلُّفُ الجَمِيلِ، وقد جَمُلَ الرَّجُلُ جَمَالاً فهو جَمِيلٌ والمرأةُ جَمِيلةٌ[5]، وجاء في السنن عن الأحنف بن قيس أنه قال: (وَإِذَا جَمِيلُ الْوَجْهِ لَمْ يَأْتِ الْجَمِيلَ فَمَا جَمَالُهُ، مَا خَيْرُ أَخْلَاقِ الْفَتَى إِلاَّ تُقَاهُ وَاحْتِمَالُهُ) [6].

---

(1) ابن منظور؛ محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر ، ١٤١٤ه)، ٣٥٦/٩.

(2) الزمخشري؛ محمود بن عمرو، **أساس البلاغة** (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩ه)، ٦٧٨/١.

(3) أبو بكر بن أبي شيبة؛ عبدالله بن محمد العبسي، **مصنف بن أبي شيبة** (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ه)، كتاب اللباس والزينة، باب: في لباس القباطي للنساء، ١٦٤/٥.

(4) ابن منظور، مرجع السابق.

(5) انظر: الرازي؛ محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح** (بيروت: المكتبة العصرية–الدار النموذجية، ١٩٩٩م)، ٦١/١، وابن منظور؛ محمد بن مكرم، **مرجع سابق**، ١١،٢٦، والزبيدي؛ محمد بن محمد عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (بدون: دار الهداية، بدون)، ٢٣٨/٢٨.

(6) البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى** (الهند: حيد آباد، ١٣٤٤هـ)، كتاب الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ١٩٥/١٠.

قال ابن الأثير: "والجَمَال يقع على الصُّوَر والمعاني، ومنه الحديث: إن الله جَمِيل يحب الجَمَال[1] أي حَسَن الأَفعال كامل الأَوصاف"[2]، ومعنى ذلك أن جمال الشيء يكمن في كماله اللائق به، فإذا توافرت جميع كمالاته الممكنة فهو في غاية الجمال، كالفرس–مثلاً– إذا اجتمع فيها كل ما يليق بالفرس الكامل من شكل، ولون، وهيئة، وحسن كرٍ وفر فهي في غاية الحسن والجمال.

والإنسان يقتدي بخالقه إذا أراد أن يكون جميلا [3]؛ فهو الجميل سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وقد ظهرت آثار جمال أفعاله في الإنسان عندما خلقه في أحسن تقويم وأجمل صورة، بالإضافة إلى خلق هذا الكون الفسيح بما فيه، قال ابن القيم: (والمولى سبحانه وتعالى يحب من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكرماء من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال) [4].

قال الهرَّاس: (وأما الجميل؛ فهو اسم له سبحانه من الجمال، وهو الحسن الكثير، والثابت له سبحانه من هذا الوصف هو الجمال المطلق، الذي هو الجمال على الحقيقة؛ فإنَّ جمال هذه الموجودات على كثرة ألوانه وتعدد فنونه هو من بعض آثار جماله، فيكون هو سبحانه أولى بذلك الوصف من كل جميل؛ فإنَّ واهب الجمال للموجودات لابدَّ أنَّ يكون بالغاً من هذا الوصف أعلى الغايات، وهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله)[5]، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال:«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[6] قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[7].

([1]) النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكذب، ٦٥/١.

([2]) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود الطناحي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م)، ٢٩٩/١.

([3]) جاء في الحديث النبوي الشريف ما يؤكد هذا المعنى، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»، انظر: البخاري؛ محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير/ بدون:دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ١١٥/٩.

([4]) بتصرف يسير، ابن القيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب،**الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م، ٤٩/١.

([5]) السَّقَّاف؛ علوي عبد القادر، **صفات الله عزوجل في الكتاب والسنة**، ط، ٣، (الثقبة:دار الهجرة،٢٠٠٦م)،١١٢/١.

([6]) النيساوري، المرجع السابق .

([7]) النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة)، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكذب،٦٥/١.

والصبر من أهم الصفات التي تُضفي على روح الإنسان مسحة من الحسن والجمال، وحتى يتصف الإنسان بهذه الروح الجميلة يجب أن يكون متصفاً بأعلى درجات الصبر، ولن يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه الدرجة من الصبر بدون عقيدة التوحيد التي يدعو إليها القرآن الكريم، فهي الأصل الذي تنبثق منه نظرة المسلم إلى الحياة، وهي المحرك الأساسي لأفكاره وسلوكه، وسيأتي مزيد بسط وتوضيح لهذه الجزئية بإذن الله تعالى.

المبحث الأول: الصبر الجميل في القرآن الكريم:

أولاً: بيان المراد من الصبر: لغة واصطلاحا:

أصل كلمة الصبر تعني: المنع والحبس، تقول: قُتل فلَان صبرا، أَي حُبس حَتَّى قُتل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ﴾[سورة الكهف، آية: ٢٨]، أي يحبسها مع المؤمنين الذي يدعون ربهم مخلصين له، فالصبر يعني: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[سورة الرعد، آية: ٢٢].

معنى الصبر اصطلاحاً: الصبر هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها على فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره[١].

وقيل: هو حبس النَّفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشَّكوى، وحبس الجوارح عن التَّشويش[٢]، فهو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[٣].

ثانياً: أقوال المفسرين في آيات الصبر الجميل:

هناك ثلاث آيات وصفت الصبر بالجميل في القرآن الكريم؛ اثنتان منها جاءت على لسان نبي الله يعقوب -عليه السلام- بقول في مطلع الآيتين:﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾[سورة يوسف، آية: ١٨] الا أنه قال في واقعة يوسف ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[سورة يوسف، آية: ١٧]، وقال في واقعة بنيامين: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٣]، أما الآية الثالثة فقد جاءت في سورة المعارج، في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾[سورة المعارج، آية: ٤].

قوله تعالى: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾: مرفوع بالابتداء لكونه موصوفاً، وخبره محذوف، والتقدير: فصبر جميل أولى من الجزع، ومنهم من أضمر المبتدأ قال الخليل: فشأني

---

(١) ابن القيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق:عبد الله بن محمد المديفر (الرياض:مكتبة الملك فهد الوطنية،١٤٢٠ه)، ١٨/١.

(٢) الزبيدي؛ محمد بن محمد عبدالرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين(بيروت: دار الهداية، بدون)،٢٧٢/١٢.

(٣) ابن القيم الجوزية؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف(بيروت: دار الكتب العلمية،بدون)،٨/١.

والذي اعتقده صبر جميل، وقال الفراء: الصبر مرفوع لأنه عزى نفسه، وقال: ماهو إلا الصبر ولو أمرهم بالصبر لكان نصبا، قال أبو حاتم: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف فـ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ بالنصب أي: أصبر أنا صبرا، قال: وكذا قرأ الأشهب العقيلي، وهي قراءة ضعيفة، فالأولى أنْ يُجعل التقدير: أنَّ يعقوب رجع وأمر نفسه بالصبر، فكأنه قال: اصبري يا نفس صبراً .(١)

وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى وصف الصبر بالجميل في القرآن الكريم، وذلك على النحو الآتي:

١- هو الذي ليس فيه شكوى إلى البشر(٢)، فمن الصبر ألا تحدث بمصيبتك ولا تزكين نفسك، وقد أخرج ابن جرير(٣)، وعبد الرزاق(٤) عن مسلم بن يسار يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: «مَنْ بَثَّ لَمْ يَصْبِرْ» ثم قرأ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٦].(٥)

٢- هو الذي لا يشوبه استعجال واضطراب قلب (٦)، وقد ذكر ذلك الإمام البيضاوي في معرض تفسيره للآية الثالثة من الآيات التي وصفت الصبر بالجميل، وهي، بالتحديد في سورة المعارج؛ في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[سورة المعارج، آية: ٤]، وكان سبب نزول هذه الآية؛ بل سورة المعارج بأكملها على

---

(١) انظر: السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق:د. أحمد الخراط (دمشق:دار القلم، -)٤٥٨/٦، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد،= =**السراج المنير** (بيروت: الكتب العلمية، -) ٧٨/٢، والشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير** (دمشق، وبيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ)١٤/٣.

(٢) قال ابن تيمية:(... والصبر الجميل صبر بلا شكوى، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل)، انظر: الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تحقيق:عبدالرحمن بن قاسم (المدينة المنورة:مجمع الملك فهد،١٩٩٥م)، ٦٦٦/١٠.

(٣) الطبري؛ محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،تحقيق: التركي (بيروت: دار هجر،٢٠٠١م)٣١٣/١٣.

(٤) الصنعاني، عبدالرزاق بن همام بن نافع، **مصنف عبدالرزاق**، تحقيق:حبيب الأعظمي، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) كتاب الصلاة، باب: القراءة في صلاة الصبح، ١١٤/٢.

(٥) الثعلبي؛ أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م) ٢٠٣/٥ "بتصرف يسير"، وانظر إلى: الخازن، علي بن محمد= =البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه)، ٥١٨/٢"بتصرف يسير".

(٦) البيضاوي؛عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤١٨هـ)، ٢٤٥/٥.

النبي–صلى الله عليه وسلم– هو تكذيب واستهزاء المشركين[١]، فأنزل المولى الكريم سورة المعارج، وفيها التوجيه بالصبر الجميل.

٣- هو الذي لا يخالطه شيء من الجزع، أو التبرم بقضاء الله وقدره. [٢]

٤- هو انتظار من غير استعجال، قاله ابن بحر. [٣]

٥- بمعنى المجاملة في الظاهر، قاله الحسن. [٤]

٦- هو الذي لا يُعرف صاحبه بين الناس مع كونه صاحب المصيبة. [٥]

٧- هو كل من لم يلحقه عيب، ولا شك، ولا قلّة رضى، ولا خروج عن حدِّ الاعتدال. [٦]

٨- هو الذي لم يخالطه شيء مما ينافي حقيقة الصبر، أي: اصبر صبراً محضاً، فإن جمال الحقائق بخلوصها عما يعكر معناها من بقايا أضدادها، وهذا دليل على الرضا والتسليم لله العليم الحكيم، وفي الحديث الصحيح أن النبي عليه السّلام مَرَّ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، قالت: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»[٧] أي الصبر الكامل. [٨]

٩- بمعنى المعاشرة الحسنة التي لا تشوبها كآبة أو تغير في المعاملة[٩]، ومعلوم أن يعقوب–عليه السلام– لم تغيره هذه الحادثة على أبنائه، فلم تظهر عليه كآبة في

---

(١) النيسابوري؛ علي بن أحمد الواحدي، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام الحميدان (الدمام: دار الإصلاح، ١٩٩٢م)،٤٤٥/١.

(٢) طنطاوي؛ محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م)٩٥/١٥.

(٣) الماوردي؛ علي بن محمد بن حبيب، **النكت والعيون** (بيروت:دار الكتب العلمية، -)٩١/٦.

(٤) الماوردي، **مرجع سابق**،٩١/٦.

(٥) السمعاني؛ منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير السمعاني**، تحقيق:ياسر بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٧)٤٦/٦ "بتصرف يسير".

(٦) انظر: الأندلسي؛ عبد الحق بن غالب بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق:عبد السلام بن عبد الشافي (بيروت:دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، ٣٣٧/٥ "بتصرف يسير"، والخازن، علي بن محمد البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٥١٨/٢ "بتصرف يسير".

(٧) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر(-:دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ)كتاب: الجمعة، باب: قول الرجل للمرأة عند القبر اصبري،٧٣/٢.

(٨) انظر: التونسي، محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع،١٩٩٧م)، ١٥٨/٢٩.

(٩) انظر:الأندلسي، محمد بن يوسف بن حيّان، **البحر المحيط**، تحقيق:صدقي محمد جميل (بيروت:دار الفكر،١٤٢٠هـ)، ٢٥١/٦" بتصرف يسير"، والألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية(بيروت:دار الكتب العلمية، بدون) ٣٩٣/٦ بتصرف يسير".

الوجه ولا عبوس في الجبين بل كان في بيته وأسرته على ما كان عليه قبل وقوع الحادثة، والإنسان يكون في بيته على طبيعته فلا يتحفظ على ردود أفعاله، ومع ذلك لم يظهر منه إلا التماسك والصبر عند الصدمة الأولى في موقف يستدعي الغضب الشديد، وهذا التصرف منه دليل على كمال عبوديته لله، وصدق توكله عليه، ولذا قال يامان الله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾**[سورة يوسف، آية: ٨٣]**، ولعل استحقاق وصف الصبر بالجميل قد جاء في شأن يعقوب على وجه الخصوص في موضعين من القرآن الكريم من أصل ثلاثة مواضع لنبل أخلاقه وحسن تعامله، والخيرية تقاس في الإنسان بمقدار نفعه وإحسانه إلى أهله وقرابته، قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي...»[1].

كما جاءت الآية الثالثة في سورة المعارج تحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر الجميل في التعامل مع المشركين رغم استهزائهم وتكذيبهم، إذاً فحسن التعامل قضية مشتركة بين هذه الآيات الثلاثة التي جاء وصف الصبر فيها بالجميل، والضابط لاستحقاق وصف الجميل أن يكون الباعث على الصبر هو العبودية لله تعالى، ولذا استعان يعقوب عليه السلام بالله عندما جاء إخوة يوسف له بالخبر، فقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ والمعنى: أن إقدامه على الصبر لا يمكن إلا بمعونة تعالى، وعليه فينبغي على الصابر أن يعتمد في صبره على الله وحده، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ **[سورة النحل، آية: ٤٢]**، قال الامام الرازي في تفسيره: فقوله:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾يجري مجرى قوله:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**[سورة الفاتحة، آية: ٥]**، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يجري مجرى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.[2]

وبالنظر إلى أقوال المفسرين السابقة في آيات الصبر الجميل؛ نرى أن اختلافهم يعود إلى تنوع الفهوم والتناول، وربما فسر كل عالم من العلماء الصبر بصورة من صوره.

---

(1) الترمذي، محمد بن عيسى بن الضحاك، **سنن الترمذي**،تحيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م)، باب: فضل أزاج النبي صلى الله عليه وسلم، ١٩٢/٦.

(2) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **التفسير الكبير**،ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٤٢٠هـ، ٤٣٢/١٨.

ثالثاً: الحكمة من وصف الصبر بالجميل:

يعدُّ الصبر من أهم وأعظم الواجبات التي يجب على المسلم أن يتحلى به، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...ما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[1]، ولذا تكرر ذكر الصبر في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال أبو طالب المكي:(وأي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً، ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى بهذا العدد إلا الصبر ...) [2]، وهذا دليل على أهمية الصبر وعظيم شأنه، ولو استعرضنا جميع الأخلاق والفضائل لوجدناها منوطة بالصبر، قال الحارث المحاسبي: (واعْلَم أَن الصَّبْر من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد فَإِذا قطع الرَّأْس ذهب الْجَسَد) [3]، وقد توافرت أدلة الأمر بالصبر في عددها وكثرتها سائر الأخلاق[4]، وهذا يدل على أهمية الصبر وعظيم منزلته؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ)[5]، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد رتب المولى الكريم على الصبر أموراً بالغة الأهمية، كمحبته للصابرين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة آل عمران، آية: ١٤٦]،ومعيته لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٥٣]، ومساعدتهم بالعون والمدد في أحلك الظروف وأشدها اضطراباً، كظرف الحرب، قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير (-:دار طوق النجاة، ١٤٢٢ه)كتاب: الجمعة، باب: الاستعفاف عن المسألة،١٢٣/٢.

(2) المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، تحقيق: عصام إبراهيم الكيالي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)،٣٣١/١.

(3) المحاسبي، الحارث بن أسد، **رسالة المسترشدين**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط٢(حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية،١٩٧١م) ٥٠/١.

(4) كقوله تعالى:﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، وقوله تعالى:﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ ، قال الطيبي:" إن الصبر بنيت عليه أركان الإسلام، وبه أحكمت قواعد الإيمان؛ لأنه تعالى لما مدح عباده المخلصين بقوله تعالي: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا - إلى قوله - وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أعقبه بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ فوضع الصبر موضع تلك الأعمال الفاضلة والأخلاق المرضية؛ لأنه ملاكها، وعليه يدور قطبها، ولذا نجد القرآن الكريم يقدم الصابرين على غيرهم بالذكر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، انظر: الطيبي، الحسين بن عبد الله، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي (مكة المكرمة-الرياض:مكتبة نزار مصطفى الباز،١٩٩٧م)، ٧٤٢/٣.

(5) الشيباني، أحمد بن حنبل، **الزهد**، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، ط٢ (-:دار ابن رجب، ٢٠٠٣م)، ٢٢٦/١.

هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[سورة آل عمران، آية ١٢٥]، وأخيراً الجنة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[سورة فصلت، آية: ٣٥].

وعند التأمل في القرآن الكريم نجد أن الصبر يرتبط بجميع القيم الأخلاقية؛ كالصدق، والعلم، والعدل، والعفة، والحكمة، وحب الخير للناس، وغيرها من الصفات الحميدة، ولذلك كانت إجابة يوسف عليه السلام لإخوته واضحة في نهاية القصة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ حيث قرن –عليه السلام– التقوى بالصبر، والمعنى: يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على المصائب و الآلام، وعلى الأوامر بامتثالها ﴿ٱنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سورة هود، آية: ١١٤]، وفي طريق إثباتنا لارتباط خصلة الصبر بغيرها من الصفات والقيم الأخلاقية نجد أن سلوك الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام– يتخذ نهجاً واحداً فيما يحملونه من رسالة وقيم أخلاقية عالية، فهم:

١– رحماء، وجانب الرحمة يتضح جليا عند استعراض قصص الأنبياء جميعهم وصبرهم على أقوامهم سنين طويلة، قال تعالى في وصف نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، [سورة آل عمران، آية: ١٥٨]، وقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[سورة هود، آية: ٧٤–٧٥]، فقمت الجمال أن يقترن الصبر بالرحمة في الإنسان، فإنه حينئذ يكون قد بلغ مبلغاً عظيماً من السلوك والأخلاق.

٢– صادقون، والأنبياء عليهم السلام أصدق الناس حديثا، فهم المؤتمنون على دين الله تعالى؛ يبلغونه كما أنزل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[سورة الزمر، آية: ٣٣]، وجاء اقتران الصبر بالصدق في القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٧]، والذي يتأمل قصة إسماعيل الذبيح عليه السلام؛ يستطيع أن يدرك الارتباط الوثيق بين الصدق والصبر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[سورة الصافات، آية: ١٠٢-١٠٥]، فإبراهيم – عليه السلام– صبر في دعوة قومه، وصبر في تصديق رؤياه حتى وصف بالصديق، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[سورة مريم، آية: ٤١]، وإسماعيل –عليه السلام– عندما قال قولته الشهيرة: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[سورة الصافات، آية: ١٠٢]، استحق أن يكون صادق الوعد كما وصفه القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾[سورة مريم، آية: ٥٤].

٣- متوكلون، وقد جاء في قصة نوح ما يدل على صبره الطويل في دعوة قومه، فبعد أن دعاهم سنين طويلة قابلوه فيها بالسخرية، والعداوة، والعناد؛ قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[سورة يونس، آية:٧١]، وهكذا كان جميع الرسل –عليهم الصلاة والسلام– يصبرون مع إيكال أمرهم إلى الله، قال تعالى:﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[سورة إبراهيم، آية: ١٢].

وبالإضافة إلى تشابه الأنبياء–عليهم السلام– في الصفات الخُلُقية؛ نجدهم يتحدون في أصل الخِلْقَة والمنشأ؛ فهم بشر من البشر كانوا يأكلون ويشربون وينامون ويموتون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾[سورة الفرقان، آية: ٢٠]، وهذه الخصائص البشرية حجة على الناس حتى يقتدوا بأنبيائهم في حسن أخلاقهم وكريم تعاملهم.

ويكفي في هذا المقام ذكر بعض من هذه النماذج، وإلا فجميع القيم الأخلاقية مرتبطة بالصبر، وجميع أنبياء الله ورسله يحملون هذه الصفات على تفاوت بينهم في بعض الجزئيات، وجميعهم يمتثلون لما يأمرهم به الله تعالى، ومن جملة تلك الأوامر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ

وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[سورة النحل، آية: ٩٠-٩١].

ولعل الحكمة من وصف القرآن الكريم للصبر بالجميل هي هذا الارتباط الوثيق بين الصبر وسائر القيم الأخلاقية الأخرى، فما كان للجمال أن يتحول إلى قيمة معنوية في شخص الإنسان إلا إذا انتدب إليه المسلم وقام به حق القيام وإلا لأصبح مشوهاً منقوصاً، كما كان عليه الحال في بعض شخصيات العرب قبل الإسلام، فقد وجد منهم من كان يتمتع بالصبر، والصدق، والكرم، وبعض الصفات الحميدة الأخرى إلا أنها كانت منغصة بالشرك، وشرب الخمر، وغيرها من التشوهات الأخرى، وما كان لهذه القيم الهزيلة أن يكون لها ذلك التأثير الذي يذكر وهي بهذا التشوه الحاد، وذلك لأن الجمال في أصله مرتبط بالحق وإرادة الخير؛ والحق واحد لا يتجزأ، ولذلك نجد القرآن الكريم يراعي المقاصد المنشودة من هذا الجمال بما يعين الإنسان على التحلي بوصف الجميل في صبره وفي صفحه، وكذلك عند تسريحه وهجره، وبذلك يكون قد حقق واجب العبودية لله، وهذا ما يجعل نظرة القرآن للجمال مختلفة عن نظرة من دونه من أصحاب المدارس الفلسفية الأخرى، وبهذا يكسب صبر القرآن الكريم أهمية عظمى، وكان ذلك هو السر الخفي دائماً وأبداً في تكامل الشخصية المسلمة على مرّ التاريخي الإسلامي، ولذا استحق صبرهم أن يوصف بالجميل.

المبحث الثاني: نماذج من القرآن الكريم على الصبر الجميل:

أولاً: أمثلة على الصبر الجميل في أداء الفرائض والواجبات:

١- الصبر على أداء الصلاة، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[سورة البقرة، آية: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة البقرة، آية: ١٥٣]، والاستعانة بالصبر تكون على جميع أمور الدنيا والآخرة، ونتيجة ذلك ظاهرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾[سورة الرعد، آية: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[سورة الفرقان، آية: ٧٥]، كما أن الاستعانة بالصلاة لها نتائج باهرة أشار إليها القرآن الكريم؛ فهي تنهى الإنسان عما لا يليق به؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[سورة العنكبوت، آية: ٤٥]، بالإضافة إلى بركة جلب الرزق، قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾[سورة طه، آية: ١٣٢].

٢- الصبر على الإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[سورة الصف، آية: ١١]، ومعلوم أن الإنسان متعلق في الحياة بحب المال ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾[سورة الفجر، آية: ٢٠]، ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾[سورة الإسراء، آية: ١٠٠] لكن القرآن الكريم عالج ولع الإنسان الشديد بالمال بعوض محبب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ - إلى قوله - فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[سورة التوبة، آية:١١١] ، قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم(١).

٣- الصبر على نوازع النفس وشهواتها، ويدل على ذلك ما جاء في قصة طالوت، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[سورة البقرة، آية: ٢٤٩-٢٥٠]، قال أبو السعود في تفسيره: (فراعَوْا في الدعاء ترتيباً بديعاً حيث قدموا سؤالَ إفراغِ الصبر الذي هو مِلاكُ الأمر، ثم سؤالَ تثبيتِ القدم المتفرعِ عليه، ثم سؤالَ النصرِ الذي هو الغايةُ القصوى، فكانت النتيجة ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ أي كسروهم بلا مكث ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بنصره وتأييده إجابةً لدعائهم)(٢).

فالصبر على أداء الفرائض والواجبات يشمل جميع ما أمر الله به، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[سورة الطور، آية: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ

---

(١) انظر:القرشي، إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق:سامي سلامة، ط٢، (بدون:دار طيبة للنشر والتوزيع،١٩٩٩م)، ٢١٨/٤.

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث، بدون) ٢٦٢/٣.

ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[سورة الرعد، آية: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[سورة الزمر، آية: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة البقرة، آية: ١٥٣]، وعليه يتضح جلياً أن تقسيم العلماء للصبر كان لغرض الترتيب والتبسيط دون قصد للتقييد، وجميع تلك الأنواع والتقسيمات المذكورة في هذا الباب هي بمثابة أمثلة لمجالات متعددة من أوجه الصبر.

ثانياً: شخصيات أشاد بصبرها القرآن الكريم:

لقد اعتنى القرآن الكريم بتنمية خصلة الصبر في شخص الإنسان المسلم، فجاء ذكر الصبر في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وكان أسلوب القصة في القرآن الكريم من جملة تلك الأساليب الجميلة المستخدمة للوصول إلى الفكرة بطريقة استنتاجية غير مباشرة، فالقصص القرآني يعدُّ من الأساليب المشوقة والمحببة للإنسان، والتي توصله إلى نتيجة حتمية عبر الإقناع؛ مفادها أن يتحلى بخصلة الصبر، والنفس بطبيعتها تميل إلى سماع القصة والتأثر بها، ولذا قص علينا القرآن جملة من تلك القصص لشخصيات عظيمة حتى يحسن الاقتداء بها، وكان من جملة تلك النماذج والشخصيات:

١- نبي الله أيوب عليه السلام، وقصته سار بها الركبان فأصبحت مضرباً لأجمل وأروع الأمثال في الصبر الجميل، فأثنى على صبره المولى الكريم، وجعله إماماً وقدوة لكل من وقع عليه كرب وبلاء عظيم في نفسه وماله وولده، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[سورة ص، آية: ٤٤]، **فوصفه القرآن بالصابر** ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: أي العبد لله، وهذا يدل على كمال صبره، وعليه فإن المعنى المستفاد نعم العبد عبداً إذا ابتلي صبر على ما أصابه فلم يشتك لغير خالقه ومولاه.

وكان أيوب عليه السلام لطيفاً في السؤال؛ حيث وصف ربه عز وجل بغاية الرحمة؛ واكتفى بالإشارة إلى الحاجة والضعف عن ذكر المطلوب، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[سورة الأنبياء، آية: ٨٣-٨٦]، وهذا من جمال عرض القرآن الكريم لجميل الطلب من أيوب عليه السلام، ولذا جاء تخليد ذكر هذا النبي

الكريم بأبهى حلة في القرآن الكريم، وأصبح-عليه السلام- نموذجاً في الصبر لمن ابتلي في هذه الحياة الدنيا بمرض.

٢- يعقوب عليه السلام: وهو النبي الكريم الذي تكرر وصف الصبر بالجميل على لسانه في آيتين من آيات الذكر الحكيم، فكان نموذجا صالحا لكل من ابتلى بفقد عزيز أو حبيب، فقد صبر يعقوب على فراق ابنه يوسف- عليه السلام- بعد أن توسم فيه كل علامات الخير والصلاح، ومع وعده لنفسه بالصبر الجميل لم يلبث حتى فقد ابنه الثاني، فهيج هذا الفراق الأخير ذكرى الأول، فقال: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٤]، فلامه أبناؤه ذكر يوسف-عليهما السلام- رغم مضي سنوات طوال على ذلك، قالوا له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٥]، فبين لهم ما يفيد تمسكه بالصبر وعدم اليأس، حيث قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٦]، وقد استنبط علماء التفسير من الآية السابقة معنى الصبر الجميل، فقالوا: هو الصبر الذي لا شكوى فيه لأحد من البشر، ثم قال نبي الله يعقوب -عليه السلام- لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[سورة يوسف، آية: ٨٧]، وهذا يؤكد عظيم صبره وتجلده.

٣- يوسف عليه السلام: وكان عليه السلام قد تعرض لسلسة من الابتلاءات والمحن، فقد تعرض لظلم أقرب الناس إليه وهو لايزال صغيرا ، كما تعرض للرق فأصبح مملوكاً وهو كريم الأصل والنسب[1]، وسُجن لجرم لم يرتكبه ظلماً وزوراً، وعند نجاحه بالصبر على تلك الشدائد والابتلاءات، تعرض لنوع جديد من أنواع الابتلاءات، حيث ابتلي بالرخاء ورغد العيش، فثبت فيه أيضاً، وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

(1) قال صلى الله عليه وسلم: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ»، انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير(بدون:طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب: أحاديث الأنبياء،باب: قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾، ٤/ ١٥١.

بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[سورة يوسف، آية: ١٠١] فلم يزده المال إلا معرفة بالله وتواضعاً إلى خلقه، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[سورة يوسف، آية: ١٠٠]، فجعل نفسه طرفاً في المشكلة مع إخوته، وهذا من جميل تواضعه، وهنا إشارة إلى ملازمة خصلة التواضع بالصبر عند الإنسان المحتسب.

وعلى الرغم من تعرض يوسف –عليه السلام– لجميع تلك الابتلاءات فإن صبره عن شهوة الفرج –رغم توافر جميع دواعيها– كان من أعظم أنواع تلك الابتلاءات التي تعرض لها إن لم يكن أعظمها على الإطلاق، قال تعالى في وصف ذلك الموقف:﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[سورة يوسف، آية: ٢٣]، فالآية تؤكد توافر جميع دواعي الوقوع في الفاحشة، فصاحبة البيت هي التي طلبت منه أن يواقعها، وهي ذات مال وجمال وسلطان، كما أن كلمة غلَّقت من قوله تعالى: ﴿وغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ بالتشديد تدل على كثرة عدد الأبواب التي أغلقتها وربما للمبالغة في الإحكام حتى تعطيه الأمان، وهو إلى ذلك في عز شبابه وفتوته، وبتوافر تلك الدواعي يصعب على الإنسان أن يعتصم بفضيلة الصبر، إلا بفضل من الله وتوفيقه.

وقد سطر القرآن الكريم هذا النجاح في وصف جميل حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ۚ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[سورة يوسف، آية: ٣٠-٣٤].

قال ابن تيمية رحمه الله:" كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور

جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها؛ ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره على المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة؛ فإنه كان شابًّا وداعية الشباب إليها قوية، وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحيي في بلد غربته مما يستحيي منه بين أصحابه ومعارفه وأهله، ومملوكاً والمملوك أيضاً ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة وذات منصب وهي سيدته وقد غاب الرقيب وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارًا وإيثاراً لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه ؟"[1].

٤- إسماعيل عليه السلام: وحديثنا عن صبر إسماعيل يجرنا بطبيعة الحال إلى صبر أبيه إبراهيم-عليهما السلام- فصبرهما في قصة رؤيا الذبح تعتبر نموذجا يحتذى به في الصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى، فمصاب إسماعيل بالموت ليس بأقل من مصاب الأب المباشر للذبح؛ شيخ كبير يحمل سكينه ليذبح ولده بعد صبر سنوات طوال على عدم الإنجاب، وقد صور القرآن أحداث القصة في مشهد مهيب يأخذ بالألباب، حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ ﴾[سورة الصافات، آية: ١٠٢-١٠٦]، وإذا تأملنا قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ فإنه سيصل إلى الدافع لهما – عليهما الصلاة والسلام- على الصبر، وهو الاستسلام التام والانقياد الكامل لأمر الله.

والشاهد من القصة هو صبر إسماعيل على الطاعة: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، وكذلك كان صبر إبراهيم -عليه السلام- في سبيل دعوة أبيه وقومه إلى توحيد الله، ثم صبره حين قرر قومه أن يلقوه في النار، ثم هجرته الطويلة للدعوة من العراق إلى الشام، ومنها إلى مكة وتركه ابنه الوحيد وزوجته في وادٍ غير ذي زرع، ثم ابتلاؤه في ذلك: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠

([1]) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،**مجموع الفتاوى**(المدينة النبوية:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٩٩٥م)،١٠/١٢٠١٢١، ونقله عنه تلميذه ابن القيم الجوزية، انظر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق:محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي،١٩٧٣م)٢/١٥٦.

فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ... ﴾[سورة الصافات، آية: ١٠٠-١٠٢]، وهذا التتويج الأخير بالنجاح إنما هو نتيجة حتمية لعقيدة راسخة في نفس هذا النبي الصالح ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾[سورة الصافات، آية: ١٠٤-١١٣]، ولعلنا نستنبط من هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يجزي الصابرين على صبرهم بالفرج والبشر العظيم.

ومعلوم أن إبراهيم –عليه السلام– ومن معه من أولي العزم كانوا قدوة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في صبرهم، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[سورة الأحقاف، آية: ٣٥]، وقد ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[سورة الأحزاب، آية: ٧]، وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[سورة الشورى، آية: ١٣] [1]، فكان القصص القرآني يُسلي نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ويثبته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:« قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[2]، وربما فاق صبره عليه الصلاة والسلام صبرهم، حيث لم تقتصر رسالته على قومه كما كان عليه الحال في الرسل من قبله، فكانوا يبعثون إلى قومهم خاصة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة، بل إلى الثقلين الجن والإنس، والذي يتأمل سيرته عليه الصلاة والسلام وما حصل عليه من تغير في الأحوال بين غنى وفقر وإقامة وترحال، وما لقيه من قومه، ومن اليهود، والمنافقين، ومن أهل الطائف، وتحزب الأحزاب، وقتل

---

(1) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، **معالم التنزيل**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ٢٧٢/٧.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر(دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)كتاب: الأدب، باب: من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ١٨/٨.

لأصحابه وأحبابه، وقد أوذي بالسحر والقول والفعل على امتداد سيرته المترامية الأطراف، قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود أنه سبحانه أمر رسوله بأن يصبر صبر أولى العزم الذين صبروا لحكمه اختياراً وهذا أكمل الصبر ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على هؤلاء حتى ردوها إلى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"(١).

ثالثاً: الآثار الإيجابية للصبر في مجال العلاقات الإنسانية:

لقد كان من المناسب أن نرجئ الحديث عن الآثار الإيجابية للصبر في مجال العلاقات الإنسانية إلى آخر البحث، وذلك حتى نصل أولاً إلى قناعة تامة بأهمية توافر هذه الخصلة الكريمة في شخص الإنسان، ونتيقن فضلها ومكانتها.

كما سبق أيضا تفسير بعض العلماء لوصف الصبر بالجميل؛ وأنه يأتي بمعنى المعاشرة الحسنة التي لا تشوبها كآبة أو تغير في المعاملة، وقد استنبط ذلك من موقف صعب كان يستدعي من يعقوب عليه السلام الغضب الشديد على أولاده ومن في البيت جميعاً، إلا أن الإنسان الذي يحمل قيماً أخلاقية فإنها ترافقه حتى في بيته وسلطانه؛ لا سيما أن القرآن الكريم يحثنا على ذلك في كتابه الكريم إذ يقول في شأن التعامل مع الزوجة عند الشعور بالنفرة منها: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[سورة النساء، آية: ١٩]، وجاء في الحديث: «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ »(٢).

وجاء في تربية الأبناء وعموم الأهل، قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[سورة طه، آية: ١٣٢]، وفي الحديث: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)، ويعدُّ الإنسان الذي يصبر على أذى جاره من

---

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون)، ٢٦/١.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الجيل و دار الأفاق الجديدة) كتاب الرضاع، باب: الوصية بالنساء،١٧٨/٤، ومعنى لا يفرك: أي لا يبغض: قال القاضي عياض:" لا يبغضها، ليس على النهى بل على الخبر: أى لا يبغضها بغضاً تاماً، انظر: اليحيصبي، عياض بن موسى بن عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق:الدكتور: يحيى إسماعيل(مصر:دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م)،٦٨٠/٤.

(٣) ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (بدون:دار إحياء الكتب العربية، بدون)كتاب: الفتن، باب: بر الوالد والإحسان إلى البنات ١٢١٠/٢، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي،١٩٨٨م)١٢١٠/٢.

الثلاثة الذين يحبهم الله، ومنهم «...الرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جِوَارُهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظَعْنٌ...»[1].

وليس هناك سبيل للإصلاح إلا بمخالطة الناس والصبر على أذاهم، وقد جاء في الحديث «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» [2]، ونوجِّه في هذا المقام النصح لجميع المعنيين بالتربية- ولا أظنه يخلو أحد من هذا الوصف- بالصبر لتنشئة أبنائنا على الفضائل ومكارم الأخلاق، وأن يكون الدافع للصبر هو ابتغاء وجه الله ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[سورة الرعد، آية: ٢٢].

فإذا كان الدافع للصبر الجميل طلب رضا الله، فإن الإنسان سيجني آثار هذا الصبر، ومنها:

١- تعزيز العلاقة بالله تعالى وصدق اللجوء إليه سبحانه، فالإنسان صاحب الصبر الموصوف بالجميل؛ إذا حزبه أمر من أمور الدنيا فزع إلى خالقه ومولاه، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنبياء، آية: ٨٧ – ٩١]، وكان عليه الصلاة والسلام يقول:« يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»[3].

٢- القوة والصلابة، فالمسلم الذي يدرب نفسه على مقاومة المعاصي والشهوات وفي الوقت ذاته يلزمها بطاعة الله ومرضاته فإنه يعمل على سمو نفسه ورفعتها، وقد

---

(1) الشيباني، أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون (بدون: مؤسسة الرسالة،٢٠٠١م)،٢٦٩/٣٥.

(2) ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (بدون: دار إحياء الكتب العربية، بدون)كتاب: الأدب، باب: الصبر على البلاء١٣٣٨/٢، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير**، ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي،١٩٨٨م)١١٠٦/٢.

(3) السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت: المكتبة العصرية، بدون)، كتاب: الأدب، باب في صلاة العتمة، ٢٩٦/٤.

أفلح من زكاها، وخاب وخسر من خذلها وأهملها، ومع الأسف نسمع من الناس من يتعلل بعدم تحمله وقلة صبره، ولو أنه جاهد نفسه عليه لهداه الله ووفقه، قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾**[سورة العنكبوت، آية: ٦٩]**، وجاء في الحديث: «... وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1]، قال ابن حجر: (وَقَوْلُهُ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ: أي يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له ويُذعن لتحمُّل الشدَّة فعند ذلك يكون الله معه فَيُظْفِرَهُ بمطلوبه)[2]،فإذا كانت النفس قد تهيأت لكل ما قد يقع من الناس نتيجة العشرة والمخالطة،كانت أجدر بالتعقل،وبالتالي تفهم الأخطاء والعمل على الإصلاح.

٣- القدرة على تخطي الصعاب، فالصبر خُلُق مركزي[3]، يستطيع الإنسان من خلاله أن يُدير حياته في مختلف جوانبها، فالإنسان محتاج إلى الصبر في تعامله مع زوجته وأبنائه فضلا عن تعامله مع من يختلف معه وربما يعاديه.

٤- الطمأنينة وراحة النفس، وهذا من لازم بشرى القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾**[سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٧]** فالمسلم إذا تيقن بأن مصابه لحكمة يعلمها الله، وأنه يترتب على صبره فضل وأجر عظيم فإنه سرعان ما تهجع نفسه ويطيب خاطره.

ومن خلال هذا العرض السريع يتجلى لنا ما للصبر الجميل من مكاسب دينية ودنيوية، وفي الوقت الذي تصبح فيه خصلة الصبر الجميل هي الغالبة على أبناء المجتمع المسلم، فهذا مؤشر جيد نحو العزة والرفعة والمنعة، وهو الطريق إلى أن يصبح هذا المجتمع مجتمعاً منتجاً مهاباً بين جميع شعوب الأرض، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾**[سورة النساء، آية: ٢٥.]**، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾**[سورة العصر، آية: ١-٣]**

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، محمد زهير (بدون: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، كتاب: الجمعة، باب: الاستعفاف، ٥١٨/٣.

(2) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت:دار المعرفة، ١٣٧٩)، ٣٠٤/١١.

(3) قال الحارث المحاسبي: (واعلَم أن الصَّبْر من الْإِيمَان بِمَنْزِلَة الرَّأْس من الْجَسَد فَإِذا قطع الرَّأْس ذهب الْجَسَد) انظر: المحاسبي، **مرجع سابق**، ٥٠/١.

الخاتمة

هذا بحمد الله وعونه ما تيسر تقييده في هذه السطور، وهناك بقايا كلمات أسطر بها أهم النتائج التي نخرج بها من هذا البحث؛ إتماماً للفائدة، وهي:

١- ترتبط خصلة الصبر في القرآن الكريم بقيم أخلاقية عظمى، وهذه القيم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعقيدة التوحيد، ولذا استحق هذا النوع من الصبر وصف الجميل.

٢- يعد صبر الإنسان في بيته ومحيط أسرته من الصبر الجميل، وهو مؤشر على صدق ديانته، ومقياس صحيح على خيريته؛ لأن الإنسان في العادة لا يحترز من ردود أفعاله مع أهله، وقد أكد بعض علماء التفسير ذلك عند تفسيرهم معنى الصبر الجميل: بحسن المعاشرة، ولعل هذا هو الهدف من حكمة القرآن الكريم في تكرار وصف الصبر بالجميل على لسان يعقوب عليه السلام مرتين مع أبنائه في بيته ومحيط أسرته.

٣- إن حسن التعامل هو الرابط المشترك بين الآيات الثلاثة التي جاء وصف الصبر فيها بالجميل، وهذا يعكس اهتمام شريعة الإسلام بأن يكون خلق الإنسان مهذبا.

٤- اقتضت حكمة العليم القدير أن تتنوع عبارات العلماء في تفسير آيات الصبر الموصوف بالجميل؛ حتى تبقى مفاوز ظنية مفعمة بالاحتمال، وهذا الوصف بحد ذاته لون آخر من ألوان الجمال، وفيه حث على الاجتهاد.

٥- تمتاز الأخلاق القرآنية بأنها ربانية المصدر، وتتصف بالشمول، والكمال، والثبات، والوسطية، بالإضافة إلى الجمع بين الواقعية والمثالية.

٦- الصبر خُلُق مركزي؛ يستحق من الإنسان أن يُوليه مزيدَ عنايةٍ ورعاية؛ حتى يصل بذلك إلى درجة الإنصاف من نفسه إذا اقتضى الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، آية: ٧].

٧- إن التمسك بالقيم القرآنية هو أعظم خدمة يمكن أن نقدمها للعالم، وندعوهم إليه من خلالها.

٨- إن جمال الإسلام في حسن تعاليمه، وهذا السبب الرئيسي في دخول الناس إلى دين الله أفواجاً.

ونخلص هنا إلى هاتين التوصيتين، وهما:

١- تقديم دورات تدريبية يقوم بها مختصون؛ لإبراز معاني الصبر الجميل، وذلك من خلال استقراء كتب التفسير، والخروج بنتائج دقيقة تسهم في توعية الشباب بمزايا الصبر، وتعمل على تعزيز هذه الخصلة الكريمة في نفوسهم.

٢- نشر الموضوعات التوعوية في وسائل الإعلام يعطي نتائج إيجابية، لاسيما أن المادة المعروضة تستقي معلوماتها من كتب التراث الإسلامي، والعمل على توضيح المعاني الجميلة، وتقديمها بما يخدم المجتمع.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبدارزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن القيم الجوزية؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (١٩٨٥م)؛ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن ماجة؛ محمد بن يزيد القزويني (١٩٨٨م)؛ **سنن ابن ماجة**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ابن منظور؛ محمد بن مكرم (١٤١٤ه)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.
- أبو السعود؛ محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث.
- أبو بكر بن أبي شيبة؛ عبدالله بن محمد العبسي (١٤٠٩ه)، **مصنف بن أبي شيبة**، الرياض: مكتبة الرشد.
- الألوسي؛ محمود بن عبدالله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبدالباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأندلسي؛ محمد بن يوسوف بن حيّان (١٤٢٠هـ)؛ **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.
- البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (١٤٢٢هـ)؛ **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة.
- البيضاوي؛ عبد الله بن عمر بن محمد (١٤١٨هـ)؛ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (١٣٤٤هـ)؛ **السنن الكبرى**، الهند: حيد آباد.
- الترمذي؛ محمد بن عيسى بن الضحاك (١٩٩٨م)؛ **سنن الترمذي**، تحيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- التونسي؛ محمد الطاهر بن عاشور (١٩٩٧م)؛ **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.
- الثعلبي؛ أحمد بن محمد (٢٠٠٢م)؛ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي .

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٩م).
- ابن القيم الجوزية؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: زكريا علي يوسف، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحراني؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (١٩٩٥م)؛ **مجموع الفتاوى**، تحقيق:عبدالرحمن بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد.
- الخازن؛ علي بن محمد البغدادي (١٤١٥هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازي؛ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (١٤٢٠هـ)؛ **التفسير الكبير**، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الرازي؛ محمد بن أبي بكر (١٩٩٩م)، **مختار الصحاح**، بيروت: المكتبة العصرية–الدار النموذجية.
- الزبيدي؛ محمد بن محمد عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.
- ابن القيم الجوزية؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق:عبد الله بن محمد المديفر، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الزمخشري؛ محمود بن عمرو (١٣٩٩ه)؛ **أساس البلاغة**، بيروت: دار الفكر.
- السجستاني؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
- السَّقّاف؛ علوي عبد القادر (٢٠٠٦م)؛ **صفات الله عز وجل في الكتاب والسنة**، ط٣، الثقبة:دار الهجرة.
- السمعاني؛ منصور بن محمد بن عبد الجبار (١٩٩٧)؛ **تفسير السمعاني**، تحقيق: ياسر بن غنيم، الرياض: دار الوطن.
- الشربيني؛ شمس الدين محمد بن أحمد، **السراج المنير**، بيروت: الكتب العلمية.
- شهاب الدين؛ أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق:د. أحمد الخراط، دمشق: دار القلم.
- الشوكاني؛ محمد بن علي (١٤١٤هـ)، **فتح القدير، دمشق**، وبيروت: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب.
- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٨٨م) **صحيح الجامع الصغير**، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي.
- الشيباني؛ أحمد بن حنبل (٢٠٠٣م)، **الزهد**، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، ط٢، دار ابن رجب.

- الشيباني؛ أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد** (٢٠٠١م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، بدون: مؤسسة الرسالة.
- الصنعاني؛ عبدالرزاق بن همام بن نافع، **مصنف عبدالرزاق** (١٤٠٣هـ)، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي.
- الطبري؛ محمد بن جرير (٢٠٠١م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: التركي، بيروت: دار هجر.
- طنطاوي؛ محمد سيد (١٩٩٨م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطيبي؛ الحسين بن عبد الله (١٩٩٧م)، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح**، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة-الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- ابن عطية؛ عبد الحق بن غالب (١٩٩٣م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام بن عبدالشافي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (١٣٧٩)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة.
- القرشي؛ إسماعيل بن عمر بن كثير (١٩٩٩م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الماوردي؛ علي بن محمد بن حبيب، **النكت والعيون**، بيروت: دار الكتب العلمية.
- المحاسبي؛ الحارث بن أسد (١٩٧١م)، **رسالة المسترشدين**، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- المكي؛ محمد بن علي بن عطية الحارثي (٢٠٠٥م)، **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، تحقيق: عصام إبراهيم الكيالي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- النيسابوري؛ علي بن أحمد الواحدي (١٩٩٢م)، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام الحميدان، الدمام: دار الإصلاح.
- النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت: دار الجيل ودار الأفاق الجديدة.
- اليحيصبي، عياض بن موسى بن عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق:الدكتور:يحيى إسماعيل(مصر:دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م).